الفصل الثالث

١- الزراعة
٢- طريقة الحرث
٣- البرنامج اليومي للعامل في المزرعة
٤- طريقة الزراعة
٥- السقي
٦- الدواس (كيفية الدواس)
٧- أغاني الدواس
٨- المزارعون وأصحاب المهن
٩- الفلاحون والبلدة
١٠- المزارعون ومكافحة الجراد
١١- أمراض ومحن

١- الزراعة:

الزراعة قديمة قدم التاريخ في هذه المنطقة خاصة الرياض. ويحيط بالمدينة ما يربو على ألفي مزرعة خاصة في جهة الجنوب والغرب والشمال الغربي حيث تزداد كثافة النخيل وتقل في الشرق والشمال، وهذه المزارع إما أن تكون كبيرة أو صغيرة وذلك حسب الحجم العائلي أو أن تكون سبالة (وقف) ومع كبر بعض المزارع لا تقارن بالمساحات الواسعة الموجودة الآن حيث كل الملكيات محدودة بسبب أنها موجودة ببطون الأودية وفي مجاريها، وتكدس السكان في هذه المنطقة مع اعتمادهم في السقي على الآبار. وتعتمد هذه المزارع في زراعتها على النخيل أولاً وذلك باعتبار أن التمر هو الغذاء الأساسي آنذاك وقد يكون في جميع الوجبات لقلة الأطعمة الأخرى، بل هو أساس طعام الشواغيل (الحرفية) أو عمال البناء - أو الكلاليف (عمال الزراعة). وذلك لقيمته الغذائية والطاقة التي يعطيها للعامل ويأكل التمر يقاس عليه نشاط العامل فإذا أكثر منه أصبح عنده القدرة على الاستمرار وإذا لم يكن أكولاً فمعنى ذلك وجود ضعف جسماني لديه. هذا عن التمر ويأتي بعده في الأهمية في الزراعة والاعتماد عليه كغذاء - الحب (البر) وله عدة أنواع عندهم هو الحب واللقيمي والصماء وزراعة الحب (البر) يقوم بها

أصحاب المزارع الكبار أو التجار ذلك أنه يستعمل للتجارة أو كمقايضة بسلعة أخرى كذلك يقومون بزراعة الذرة بجميع أنواعها.

أما صغار المزارعين فتكون زراعته كقوت لصاحب المزرعة وعائلته وللعمال، وإذا كان هناك موسم أمطار مبكرة قاموا بالتبعيل خارج البلدة والمزارع في أرض فضاء شمال البلدة (المربع) حيث يقوم بالتبعيل المزارعون وأهالي البلدة من غير المزارعين ليساعدهم على القوت وسد الحاجة.

أما عن الخضراوات التي كانت تزرع فلا تتعدى القرع والبصل، ثم بعد ذلك بدأ التأثر الخارجي خاصة وأن هناك احتكاكاً مع الأحساء والبحرين بالتجارة وبدأت زراعة الباذنجان الأبيض واللوبا، وبعد فتح الحجاز تطورت الزراعة ودخلت زراعة الطماطم ثم تتابعت الخضراوات مثل الفجل والرجلة والملوخية والبقدونس والخس وهكذا.

وبجانب الخضراوات يزرع البرسيم. وحينما يقوم المزارع بزراعة هذه الخضراوات فهي تزرع للاستعمال الشخصي أو أنها تستعمل بدلاً من الأجرة للعامل أو لأصحاب المهن لقلة العملة في أيدي الناس حيث إنها تعطى للنجارين وفتالي الحبال وغيرهم بدلاً من العملة النقدية بالإضافة إلى التمر والحب.

ولكن هناك بعض أنواع التجارة يقوم بها الفلاح مع التجارة في البلدة على شكل مقايضة حيث يأخذ التاجر من المزارع تمرًا أو برا ثم يعطيه ملابس وغيرها من السقوطات المجتمعة كالقهوة والزعفران والبهارات والشاي أو الإقط والدهن الذي قايض المزارع اليدوي بها بملابس أو حب أو تمر.

أو أن الفلاح يدين التاجر إما ببضاعة أو مبلغ من المال على مدار السنة حتى يأتي وقت الحصاد للحب أو خراف التمر وطرقه ليعطيه إياه عوضًا عن المداينة.

هذا ما يقوم به الفلاح مع التاجر ولكنَّ هناك شيئًا واحدًا يجلبه الفلاح ألا وهو البرسيم فقط فهو إما أن يبيعه بنفسه في السوق (في الصفاة) أو هناك من يشتريه من الفلاح مباشرة أو أن البرسيم يشترى في الأشراب ثم يقوم بحصده من اشتراه.

٢- طريقة الحرث:

يقوم المزارع بحرث مزرعته بالتعاون مع جيرانه المزارعين وذلك بتحديد يوم عند كل مزارع لحرث مزرعته بالإضافة إلى أنهم يتعاونون في حفر القلبان (الآبار) وكذلك في الحصاد.

وتشترك النساء في الحرث والحصاد خاصة نساء فقراء المزارعين أما المزارع القوي ذو النسل الكبير فهو يقوم بها مع أبنائه

أو أنه يجلب عمالاً بأجرة إذا كانت يومية فيعطى نقودًا أو أنه يعطيه من ثمار المزرعة تمرًا أو براً أو غيره مع قليل من الأجرة النقدية كَرُبْع قرش أو نصف أو قرش كامل ثم تطورت إلى كل شهر بريال أو بريالين ثم صارت بالريال العربي وهكذا.

وقد يكون عند بعض المزارعين قدرة في أن يقوم بزراعة أرضه مع قيامه بزراعة أرض أخرى، وهذا ناتج بسبب كبر العائلة وحاجتها إلى مصروفات كبيرة وكثرة الطرش (الماشية) عنده، وهذا يؤدي به إلى كثرة المصروفات التي تكون على حساب الديون مع التجار، مما يضطره إلى التوسع في الزراعة لتسديد الديون وهذا النوع من المزارعة تكون بالبُر فقط.

٣- البرنامج اليومي للعامل في المزرعة:

إذا كان هناك كلّاف (عامل) في المزرعة فيبدأ العمل من طلوع الشمس حتى الغروب ويكون طعامه خارجاً عن الأجرة حيث في الصباح يتناول تمرًا فقط وقبل الظهر تمرًا ولبناً وبعد صلاة المغرب عشاءً مثل قرصان، مرقوق - جريش.

٤- طريقة الزراعة:

الزراعة تختلف بين النخل والحب والخضراوات، فالنخل في متابعته مختلف عن الحب والخضراوات حيث النخل محدود له

أوقات للركز والتلقيح والحمل ثم اللقاط ثم الخراف ثم الصرام ثم بعد ذلك بطرق التمر.

أما ركز النخل فيكون في أول الوسمي ويستمر سقيه مدة أربعين يوماً متتالية صباحاً ومساءً ثم يقل السقي إلى كل ثلاثة أيام ثم كل أسبوع، بعد ذلك يفلق النخل في الشتاء (المربعانية) خاصة إذا كان من النوع الممتاز حيث يبكر في فلقه، وإذا فلق يبدأ تلقيحه ثم يستمر على هذه الحالة خمسة أشهر ويبدأ الحمل.. هذا عن النخل.

أما الحب فهناك حساب خاص له إذ يوجد مستشارون للمزارعين لمعرفتهم للحساب والبروج ومنازل الشمس والقمر (٢٨منزلة) حيث عندهم دراية بموعد البذر مع كل طالع نوء مثل الشيخ حمد بن فارس والشيخ سليمان بن سمحان وفهد بن ريس وغيرهم ممن لهم دراية في هذا العلم وذلك أنهم يبذرون الحب في الشتاء ثم يحصدون في الصيف.

وعن الخضراوات كذلك حيث هناك ما تسمى ببذرة الست مثل نوء المؤخر ويسميه العامة الذراع الثاني أو الراعي. وهناك بعض الخضراوات لها أنواء أخرى. وإذا فات بعض المزارعين وقت البذرة أشار عليه الحسّاب بأن يضع البذر في ماء ليتشبع بالماء مدة يومين

أو ثلاثة ثم ببذره وهو يقصد بهذه الطريقة أن البذر يلين وينتفخ في الماء وإذا وضع في الترية وأصابته حرارتها مع الرطوبة لا يلبث أن يتفتق عن بذرته - وهذه الطريقة تُعد من ابتكارات بعض الحسّاب لمن فاته وقت البذر.

٥- السقي:

أما عن سقي المزارع فتكون بالصدر (السواني) وأكثر ما يهتمون به في السقي هو الحب، حيث أول ما يبدؤون البذر وقت برودة الجو يكون السقيَ قليلاً وإذا بدأ السنبل (سنبل الحب) ويسمونه (الشرية) يبدأ المزارعون يقطعون علاقتهم مع بعضهم البعض وذلك للاستمرار في السقي ليل نهار لأنه مع بداية الصف يحتاج إلى سقي كثير، ولا يتوقفون عن السقي إلا عندما يبدلون المعاويد (إبل السني) وتسمى (الطرش) السانية من الإبل وغيره سواء أكانت بقراً أم حميرًا ولكن الإبل تسمى (معاويد). لأنها مخصصة للصدر فقط أو لرفع الماء وتكون قوية. أما سبب تبديل الطرش فهو لإراحتها وإحلال (طرش) محلها وهكذا يستمرون على ذلك حتى يستوي الحب.

وبهذا يكون جاهزاً للحصاد، وعنده يبدأ اللقاء من جديد ويجتمع المزارعون ويتعاونون على حصده ونقله إلى القوع ليكون جاهزًا للدواس، وهذا النوع يكون موجودًا في كل مزرعة قد يكون

لها قوع واحد أو أكثر حسب كبر المساحة وكثرة الحب أما القوع فهو أرض مليصة بالطين في وسطها خشبة - ويجمع الحب فيها ليقوم الرجال مع الحمير في دواس الحب ليخرج من سنبله.

والدياسة تكون بالحمير وكذلك الرجال حيث يقوم المزارع بالدواس هو وأبناؤه وجيرانه، وإذا كان الحب كثيرًا احتاج إلى دواسين، وبعد الانتهاء من الدياسة يأتي (الشواغيل) العمال بتذرية الحب، يرفعه في الهواء حتى يتطاير السفير، وبعد ذلك يعبأ في عدول (أكياس) تسمى غرابر، وهذه الغرابر منسوجة من صوف اشتراها المزارع من البدو، ولها أحجام مختلفة قد تكون كبيرة جدًا تأخذ مائة صاع، أو خمسين صاعاً لثقلها لا يحملها الرجل لوحده بل يحملها الحمار فقط.

ولكن من أين يجلب الفلاح البذور؟ إنها من نتاج مزرعته حين يحصده يَعْزِل جزءًا منه ليكون بذرًا للسنة القادمة وكذلك ينطبق على الثمار الأخرى. أما عن لقاح النخل فيكون عند كل مزارع (نخل ذكر) يسمى الفحّال يأخذ منه لقاحاً للنخيل الباقية وقد يشتريه إذا قل عنده أو انعدم.

٦- الدواس (كيفية الدواس)

١- يقوم المزارع أولاً بحصد الحب ونقله إلى القوع المعد للدواس.

والقوع أرض مجهزة ومطلية بالطين المخلوط بالتبن ليكون قويًا ولا يختلط بالتراب مع الحب، ومكان القوع في أرض فضاء معرضة للهواء حتى يذري الحب فيه.

٢- بعد تجهيزه ووضعه في القوع يحدد المزارع موعدًا مع من يقوم بالدواس وهم أشخاص معينون يجيدون الدياسة عن طريق الغناء وحسن الصوت والحماس وإتقان اللعب. مع النشاط البدني، وليس المهم أن يكونوا من المزارعين أنفسهم، بل يحضرون من الأحياء المجاورة للمزارعين وقد يدخل المتفرجون مع الدواسين لمشاركتهم حيث يأخذهم الحماس.

٣- يحضر الدواسون عصيًا وهي من خشب التين وتكون قوية وخفيفة ولينة ليضرب الحب والبعض الآخر يحضر عصيًا تسمى (المقلاب) وهي من الأثل حيث طرفها معكوف حتى يرتفع الحب ليكون الدواس على الحب كله.

٤- يحضر المزارع الحمير المعدة للدواس وإذا لم يوجد عنده يستعير حمير المزارعين الآخرين، وإذا كانت المزارع كبيرة كمزارع الحكومة أو الأسرة المالكة فيؤمر من يقوم بزراعة تلك النخيل بإرسال حميرهم إلى القوع.

٥- تربط الحمير مع بعضها البعض بالأقران حسب الكثرة والقلة وتربط كلها في خشبة مركوزة وسط القوع على أن يكون القوي

منها في الطرف ويسمى (الطايف) والضعيف عند الخشبة ويسمى (القعدة).

٦- يبدأ الدواسون في العمل وذلك في الموعد المحدد ويكون من بعد طلوع الشمس وذلك بأن تقوم الحمير بالدوران حول الخشبة والدواسون يقومون بضرب الحب بالعصي وتقليبه مع الغناء في هذه الحالة.

٧- أما عن كيفية مشاركة أهالي البلدة فموزعون كالتالي: أهالي دخنة والحلة مع مزارعي معكال، وأهالي الظهيرة مع مزارعي البنيّة (نخيل شمال البلدة)، أما أهالي المعيقلية والمريقب يدخلون إما مع مزارعي معكال والبعض مع مزارعي البنيّة، ولكن إذا كثر قصب العيش عند المزارعين تكون هناك منافسة بين الأحياء، بأن يجعل المزارع أهالي كل حي منفصلين عن الحي الآخر حتى يتنافسوا في الدواس ويظهر نشاطهم.

٨- ينتهي العمل في الفترة الأولى عند الضحى ويستريحون قليلاً لشرب الشاي، والقهوة مع التمر واللبن، وبعد صلاة الظهر يحضر تمر مع مريس، والمريس مكون من إقط وسكر حيث الإقط مدقوق مع السكر ومخلوط بالماء لذلك يقومون بشربه، وعموماً ليس كل من يقوم بالدواس يشرب المريس لأنه يعمل

مضايقة لهم أثناء الدواس لقوة مفعوله وما يسببه من ثقل الجسم، خاصة النشيطين في الدواس لا يشربونه إلا بعد الانتهاء، أما من هم أقل قدرة فهم يشربون بكثرة، ثم بعد ذلك يبدأ العمل مرة أخرى إلى آخر النهار حيث ينتهي الدواس ويحضر العشاء وهي ذبائح طبخها الفلاح للدواسين.

٩- يستمر الدواس يومًا واحدًا فقط عند كل مزارع سواء قل الحب أو كثر؛ لأنه إذا كثر الحب يزداد عدد الدواسين والحمير لينهوه ذلك اليوم وفي اليوم التالي ينتقلون إلى المزارع الآخرى وهكذا. والدّواسون لا يأخذون أجرة بل تبرعاً من أنفسهم للمتعة وكترفيه لهم وللاجتماع فقط مع أكل وجبة عند المزارعين.

١٠- إذا انتهى الدواسون يبدأ شواغيل المزارعين (الحرفية- العمال). في اليوم الثاني بذري الحب وذلك بأن يقوموا بجمع الحب حول الخشبة على شكل كومة تسمى (الأقعاد) أي يقعدون الدوسة حتى تتجمع على شكل شحنة ومن ثم يتقابل كل اثنين ويبدؤون يذرون الحب في الهواء حتى يتخلص من التبن، ثم ينتقلون للدوسة الثانية خاصة إذا كان القوع كبيرًا؛ لأن بعض الأقواع تتسع إلى خمس أو ست دوسات بأن فيها خمس خشبات مركوزة ولكل خشبة دواسوها.

١١- بعد ذلك يحضرون غرابيل لغربلة الحب وتنقيته وتصفيته من

(السنوف)، أي بعض الحب الموجـود في سنبله ثم بعـد ذلك يبدؤون بتكييسه ونقله إلى المخازن.

١٢- بعد ذلك يبدأ المزارع بتوزيعه وتصنيفه بالطريقة التالية:

(أ) إذا كـان عليـه دين يبـدأ عـمل بعض الأكيـاس المخصـصـة للمدينين ليسدد دينه حباً.

(ب) ما كان للدولة كزكاة يحمل إلى بيت مال الدولة، أو تأتيهم من الحكومـة ورقـة للزكـاة خـاصـة بأن يقـومـوا بأنفسـهم بتسليم الزكاة مباشـرة إلى مستحقيها لوجود الثقة بين المزارع والدولة مع وجـود الوازع الديني ورقـابة الضـمـيـر الداخلي.

(جـ) يَسْتَعمل الباقي طعامًا له وإذا فاض شيء زائد يبيعه.

٧- أغاني الدواس:

من المعلوم أن الدواس مجهد ويحتاج وقتاً طويلاً حيث يدوم يوماً كاملاً بلا انقطاع عدا بعض الدقائق البسيطة لأخذ النفس أو لتناول الشاي أو القهوة وتناول الطعام، ولقتل الوقت وإعطاء العمل حماساً أكثر ليكون الإنتاج كـاملاً حيث لا رجعة له في اليوم التالي لهذا يصحبون معهم في الدوسـة شاعرًا ليقول قصيدة لهم ويدوس معهم ويرددون معه الأبيات. وكان معروفًا في ذلك الوقت من شعراء الرياض مثل:

١- الشاعر: سليمان بن عبدالله بن قماع.

٢- الشاعر: محمد بن ناصر السويلم.

٣- الشاعر: فهيد بن سعد بن دحيم وإن كان مشهورًا في العرضات أكثر.

٤- الشاعر: ذعيت - وهو معروف بهذا الاسم.

وسنختار بعض القصائد التي تقال أثناء الدواس مع العلم أنها تختلف في المطلع أي لكل قصيدة نغمة ويسمونها (شيلة).

يقول سليمان العبد الله القماع في قصيدة له وهي قديمة جدًا تربو على أكثر من ستين سنة.

يا عـاذلي في الهـوى وشلك بعـذلي
راعي الهـوى بالهـوى مـاله مـلامـه
من شـرب كاس الهوى ما عـاد يسلى
والحب في القلب شـيّـد له خـيـامـه
من غض الأنهاد أنا اللي صرت خبلي
أبغي السـلامـة ولا منهـا سـلامـة
يا خـشف ريم بزوله واعـتـرض لي
في عـتـبـة البـاب وارخـا لي لثـامـه
فـزيت له وقلت سم وقـال عـجلي
واقفا حـبيبي ولا أدري وش مـرامـه

أقفا يجر المشجر ما التفت لي

والقلب ركب ردعيّه في مرامه

وإذا كان ما عاد لي فأنادنا أجلي

إن مت حطوا على قبري علامة

وهذه قصيدة أخرى لسليمان بن عبدالله القماع وقيلت في دوسة لدى الأمير محمد بن عبدالعزيز في عليشة منذ ٤٠ سنة تقريبًا.

عفا الله عن عين تهلي

على الخد بدموع همياله

أنا كيف أباسلي واسفهلي

وهوى البيض في قلبي يحيله

يابو فهد[1] يا فزعة لي

قضى الجسم والحال النحيلة

أنا أقول لك يا فزعة لي

أنا صابني ضافي الجديله

ذبحني بخدٍ كالسّجلي

وخذا القلب بالعين الكحيله

---

(١) يقصد (أبو فهد) صديق له يسمى عبدالله بن فهد بن عمران من أهالي المصانع حيث عادة الشعراء يخاطبون أصدقاءهم الخاصين ليبث شكواه إليه لأنه مستودع أسراره ولتخفيف العبء على القلب.

على أبو نهـيـد مـسـتـقلي

بوسط الحـشـا ثوبه بيـشـيله

قصيدة أخرى للشاعر محمد بن ناصر السويلم:

حـبـيب قلبي ترى حـبـه ذبحني

عـزى لمن بالهـوى بيّح كنينه

في بعض الأيام ليـتـه مـا نطح لي

ولا تلاقي نظر عـيني وعـينه

مـجـبور أنا فـيـه لو حـبـه ذبحني

يا نـاس لاحـد يجي بيني وبينه

إللي يبـيني وأنا به صـرت شـجني

بالحـيل أنا قـابل زينه وشـينه

إللي طرح صـاحـبي واللي طرحني

مكتوب مكتوب في عـالي جـبـينه

أهل الهـوى يفـهـمون اللي جـرحني

مـا يجـهل الحب ناس خـابرينه

قصيدة - الذعيت - حيث يعرف بهذا الاسم:

وهذه القصيدة لها خاصية حيث قيلت قبل دخول السيارات إلى الرياض يدل على ذلك ما جاء في كلماتها حيث يذكر وقت ركوب

الجيش وهي الإبل بمعنى آخر أن هذه القصيدة تربو على أكثر من ٧٠سنة، أيام وقت الغزو، وقد حصلنا على بعضها بسبب عدم حفظ الراوي بعض الأبيات وعددها أربعة فقط.

ألا يا نديمي فـــوق الأكـــوار

على صـيـعـيـرات عـسـايف

يفـزن كـمـا تفـزيز الأطيـار

عليـهـا من الكدري وصـايف

يـردون لابـراهيم الأخـبـار

يـردون بـعـلـوم طـرايـف

تـرى عـادة الدنيـا بـالأنكـار

يـامـا فـرقت بين الـولايف

٨- المزارعون وأصحاب المهن:

هناك طريقة تعامل بين المزارعين وأصحاب المهن كالنجارين والخرازين وفتالي الحبال، فالنجار يحتاجه الفلاح لإصلاح قتب الحمار أو قتب (كتب) جمال المعاويد (أبا عر الصدر) أو عرقاه الغروب أو المحالة أو الدراجة وعمود الدراجة وكذلك يحتاجه لعمل نصاب المحش أو نصاب الفاروع وما إلى ذلك.

كذلك يحتاج للخراز لإصلاح الغروب أو الغرب أو الدلو ومن

هنا يكون لكل مزارع عميل من أصحاب المهن ليتعامل معه المزارع فيخرج صاحب المهنة إلى المزرعة، ويقوم بإصلاح أو عمل ما يريد الفلاح في مزرعته، وأجرة صاحب المهنة تكون مختلفة بين الصيف والشتاء، ففي الصيف حب لأن الحب يكثر في الصيف لحلول وقت الحصاد، وفي الصفري تمر لأن آخر الصيف وبداية الخريف يكثر صرام التمر.. وهكذا.

أما عن الأجرة نقودًا فليس هناك أجرة خاصة فقد تكون بربع أو نصف ريال أو ريال أو بالريال الفرنسي أو بالريال العربي وعلى العموم التعامل بالعملة قليل جدًا إلى عام ١٣٤٤هـ بدأت تسك العملة وتكثر في أيدي الناس.

ولكن ماذا عن فتّال الحبال (فتّال الأرشية) فهذه المهنة لها وضع خاص فقد يكون رجلاً كبيرًا في السن لا يتحمل الصدر في النهار أو حمل المسحاة فيكون متواجدًا لدى الفلاح دائماً وله معاش (راتب) بالشهر قد يكون ربع أو نصف ريال حيث يقوم بفتل الأرشية أو حبال العراقي الغروب وآرشيه الغرب أو حبال لربط العلق، ويحضر لليف من النخل نفسه.

٩- الفلاحون والبلدة:

الفلاحون في الرياض يختلفون فيما بينهم فبعض الزارعين

يسكنون في مزارعهم حيث لهم بيوت بداخلها، وهناك بعض المزارعين لا يسكنون في مزارعهم بل إنهم يقومون بمزارعتها مع مزارعين آخرين ويقيمون هم في البلدة، أما بعض المزارعين فيملك بيتاً في البلدة بالإضافة إلى عمله في المزارعة؛ ولذلك فهم يشتغلون في مزارعهم في النهار ثم يعودون إلى بيوتهم في آخر النهار لينامو كذلك يستعملون بيوتهم في البلدة ليخزنوا فيها العيش.

إذًا من هذا الاستعراض لا يخلو مزارع من بيت له في البلدة (الديرة).

١٠- المزارعون ومكافحة الجراد:

في تلك السنين الغابرة من حياة الرياض وأهلها تمر عليهم أعوام يطلع فيها الجراد مع أنه يضر بالزروع والنخيل إلا أنهم يستبشرون به لأنهم يستنفعون منه بأكله.

والجراد ليسَ كله ضار لأنه أنواع حيث هناك نوع ضرره قليل ويمر مرورًا على البلدة ومزارعها ولا يجلس غير يوم واحد أو يومين ثم يترك البلدة إلى البر، وهذا النوع من الجراء يسمى (جراد التهامي) وحينما يمر جراد التهامي فوق النخيل فإنه ينهمه ويطير بسرعة ويتجه إلى البر كما قلنا وحينما يذهب هناك يرادف بعضه بعضا (يركب بعضها بعض) ثم بعد ذلك يرمي في الأرض الدبا حيث تلد الجرادة ٩٩ وهذا هو النوع الثاني بعد التهامي.

وبعد طلوع الدبا ويراه الناس ويأتي الخبر للمزارعين وأهالي البلدة يخرجون له بالمساحي وبعسبان النخيل ويحفرون له (دعوب) وتسمى مشاقيق - وهي حفر مستطيلة- ثم يدفنونه فيها ويضربونه بالعصي حتى لا يتطاير.

أما مايتطاير من الدبا ويفلت منهم يكبر وينبت له جناحان ويسمى بذلك خيفان وهو نوع آخر من الجراد بعد التهامي والمكن والزعير والدبا. وعموماً الخيفان قد لا يطول بقاؤه حيث يضربه سرو (دودة) في عنقه حتى يموت خاصة إذا أقبل عليه الحر.

ولكن قد يمكث الجراد في النخيل ويطول بقاؤه ويظل يتغذى حتى يكبر ويسمن وتسمى الأنثى مكنًا - والذكر يسمى زعيرًا وهذا الجراد هو النوع الذي يطيب أكله وإذا عرف الناس مكانه أو محل تجمعه صاح الصائح في الديرة أو في النخيل يا الجرّاده يا الجرّادة ترى الجراد في المحل الفلاني. ثم يظهر الناس بالأكياس أو بملابسهم حيث يجمعونه فيها وبعد ذلك يطبخونه بالماء والملح ويأكلونه وما زاد يخزنونه.

أما عن الأماكن التي يتجه إليها الجراد خارج البلدة ويتساقط فيها هي الوطاة (محطة سكة الحديد الآن) وتارة يأتي من السلي

على طريق الأحساء في المزاليج ومرة يأتي من الغرب في الغذوانة غربي سلطانة.

ولكن ماذا عن الدبا إذا خيفن ووصل إلى النخيل؟ يقوم المزارعون والأهالي بنهمه من جديد ليتطاير حتى يخرج من النخيل ويقولون:

هيه يا رخو الذنب هيه خوفت العرب

وإذا طالت مدته ولم يستطيعوا مكافحته جلس في النخيل وتذرا بالظل، ثم يبدأ بالترادف من جديد تحت الأشجار والزروع وفي البرسيم. وهذا النوع يضر بالنخيل حيث يأكل كثيرًا ومع ذلك لا يسمن لذلك تقول العامة.

يأكل كما يأكل الخيفان ولا تسمن أذنابه

وظهور الجراد ليس مستمرًا بل إنه يظهر مدة وينقطع سنين طويلة، وظهوره لا يترتب عليه دائماً مضرة حيث أحيانًا يكون قليلاً أو أنه نوع يستفاد منه بأكله. وأحياناً يكون ضرره كبيرًا وفادحاً. فقد مرت على الرياض عشر سنين انقطع عنهم الجراد ثم أمره الله بالظهور وذلك منذ خمسين سنة وكان ظهوره من جنوب وادي نمار من الشعاب التي حوله ثم صعد على النميلات (الظهرة) ثم مر بظهرة منفوحة ونخيلها وأكل ما فيها، ثم نزل على جنوب الرياض

وعم بعد ذلك جميع أنحاء الرياض، ولم يبق نخل لم يتضرر خاصة نخيل جنوب الرياض، حيث أكل النخيل والزروع والخضار والبصل، بمعنى آخر اكتسح النخيل اكتساحاً حتى إن المزارع الكبيرة لم يبق شيء من زروعها مثل نخل محمد بن عبدالعزيز بن كنعان الذي كانت مزرعته تسقى من بئر لها ستة غروب ويصدر على اثني عشر حمارًا ستة في الليل وستة في النهار.

أما نخيل شمال الرياض لم يكن الضرر عليها كبيرًا كما في جنوب الرياض لأنه لم يدم فيها طويلاً، وكان الناس في جنوب الرياض ينهمونه مدة أسبوع أو أكثر أما شمال الرياض كنخيل حوطة خالد ونخيل خزام ونخيل القميعة والرميلة فلم يدم فيها طويلاً وإن كان هناك من ضرر فهو ضرر خفيف على الزروع والبصل والبرسيم بسبب أن مروره كان سريعًا على شمال الرياض.

أما كيفية النهم فهو أنهم يكبرون ويهللون ويدعون الله بإبعاده، مع الصباح ورفع الصوت وضربه بعسبان النخيل وبالخوص وإيقاد النار بأشجار خضراء ويابسة لتدخن ولا تشتعل نارًا حتى يختنق ويطرده الدخان ومع ذلك لم يُجد فيه شيئًا إلى أن أنهى الزروع كلها، أثناء ذلك أمر الملك عبدالعزيز شركة أجنبية برشه بالمبيدات في أماكنه خارج البلدة حتى أهلكوه.

وبعد ما هلكت الزروع وذهب الجراد عاد المزارعون يفلحون من جديد وتدينوا التمر والحب من التجار ليأكلوا لأن مزارعهم قضى عليها الجراد. كذلك تبرع الملك عبدالعزيز للمزارعين بمساعدة كل حسب مزرعته فمنهم من أعطاه ألف ريال أو ستمائة أو خمسمائة ريال، حيث كانت سلفًا ثم تنازل عنها أخيرًا وصارت عطيّة (مساعدة) من عنده.

واستمر المزارعون في الحرث ثم أرسل الله عليهم مطر خريف وأسقى زروعهم وأحياها الله من جديد بعد ذلك الجراد المهلك، وذلك في السنة نفسها التي أتى فيها الجراد وكان سقوط المطر في أول ظهور الرطب حيث نزل وقت الضحى بانهمار شديد مدة ساعة سالت على أثره جميع الشعاب والوديان المحيطة بالرياض.

كذلك مرت سنة يقال لها سنة الدبا لكثرته حيث عم الرياض كلها والقرى المجاورة ولم يتمكن الأهالي والمزارعون من القضاء عليه، ثم دخل في النخيل وبدؤوا يكافحونه في النخيل حتى خيفن وبدأ يأكل الزروع حتى انقطع البرسيم ولم يعد له وجود، كذلك ثمار النخل حتى أن الشماريخ تسقط في الأرض بل العسبان يحتها واستمر شهرًا كاملاً ولكثرته وخوف المزارعين منه بدؤوا يدفنون قرب الماء خاصة المبعلين منهم، وما إن أحس الدبا بالرطوبة في

الأرض أخذ يبحث عن الوصول إلى الماء حتى حفر الأرض ووصل إلى القرب وقام بخرقها، وأحس الناس بأذاه في أنفسهم فيدخل بين الملابس وهم يمشون وكذلك في نومهم، ولما أراد الله رفعه عن الناس، ارتفع في الأرض إلى السماء على شكل عمود مثل الزوبعة ثم يذهب إلى البحر ويموت هناك.

١١- أمراض ومحن:

كم أتى على الرياض من محن سواء أكان مرضًا أم جوعاً أم جراداً مهلكاً للزروع ومع ذلك فالناس يصبرون ويحتسبون الله سبحانه وقد آمنوا بما عنده ولم ييأسوا من رحمة الله. فدائماً بعد الكربة فرج، ومعلوم أن سنة الجراد التي أهلكت الزرع والنخيل أتى بعدها مطر أحيا الزروع من جديد فسبحان محي العظام وهي رميم.

وكما قلنا فإنه قد مر على الرياض مآس عديدة، ولقد ذكرنا الجراد وها نحن الآن نتكلم عن سنة مرت تسمى سنة الرحمة عام ١٣٧٧هـ وسبب تسميتها بذلك لكثرة الموتى فيها، حيث أتى المرض فجأة بدون مقدمات على الرغم من أن تلك السنة لم يكن فيها فقر ليكون سببًا له. أضف إلى ذلك أنه أتى بانتهاء الصفري بعد صرام النخيل وإقبال الشتاء مع توافر التمور والحب ولهذا كان الناس

ميسوري الحال، والأمطار مستمرة، ولهذا كانوا يسمون المرض نَزِلٌ بسبب إتيانه فجأة فهذا المرض عم كل بيت في بيوت الرياض ولفداحة المرض صار كل بيت يموت فيه الواحد والاثنان والثلاثة بل هلكت بيوت بأكملها وبعضهم كان يمشي ويسقط في الشارع ويئن إلى أن يموت، وفي هذه الحالة كان لا يستطيع أحد أن يساعده أخاه لوجود الوهن في الجميع خاصة إذا سقطوا مرضى ومن هنا فإن الشخص لا يستطيع أن يسعف أمه أو أباه أو أخاه إذ كان المرض يعم البيت كله.

ولكن من سلم من المرض - وهم قليلون - يستطيع أن يساعد بقدر استطاعته بإسقائهم ماءً أو لبناً أو إعطائهم حلتيتاً أو صبرة أو مرّة وكانت في معكال امرأة فاضلة تدعى ميثا بنت حسن المسبحي والدة محمد بن عبدالعزيز الكنعان وهو موجود الآن[١] كانت تدور بصميل اللبن والتمر على المرضى في الشوارع وتطعمهم وتسقيهم وكانت تعيش في مزرعة زوجها بمعكال وتدخل إلى دخنة لمساعدة الأهالي هناك كما كانت تمر على المزارع وهي تعد عملها هذا احتسابًا عند الله.

---

(١) توفي بعد صدور الطبعة الأولى من الكتاب بخمس سنين تقريبًا، وقد تجاوز عمره تسعين عامًا.

واستمر المرض مدة أسبوعين أو أكثر بقليل، وتكاثر الأموات وصاروا يحملونهم على الأباعر فوق المحاميل التي يحمل عليها اللبن والحطب إذ كانوا يحملون الثمانية الموتى مجتمعين أربعة في جهة وأربعة في جهة أخرى.

ولكثرة الموتى أفتى الشيخ محمد بن إبراهيم أن يدفن في القبر اثنان على أن يكون النساء في قبر والرجال في قبر، ثم بعد ذلك صار الناس لا يتعمقون في الحفر، ولما علم الشيخ محمد بن إبراهيم أمرهم بالحفر حتى يظهر لهم التراب الأحمر.

وتبرع عبدالرحمن آل فيصل بأرض تسمى (عكّالة) لقبر الناس فيها، وموقعها جنوب مسجد العيد الحالي، وذلك لتكون قريبة من الناس لبعد مقبرة العود بسبب ما حل بالناس من وهن وحزن وعدم قدرة على المشي.

صورة (٢٩): منزل مزارع قديم

صورة (٣٠): مزرعة على الطراز القديم

صورة (٣١): جدار مزرعة مبني من عروق الطين ويجانبه جدار يظهر فيه:
١- مليص بالطين (فوق) ٢- جزء مصبوع (وسط) ٣- جزء مشبع (أسفل)

صورة (٣٢): مزرعة جدارها مطوي بحصى قديم (مذيل)

صورة (٣٣): مزرعة على الطراز القديم

صورة (٣٤): اللزاو وهو ما تصب الغروب فيه ليتجه الماء إلى المزرعة

صورة (٣٥): بئر مزرعة مازال الماء فيها